﴿ الجزء الثالث ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

الجامعة

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — اكتوبر (تشرين اول) سنة ١٩٠١ — جماد الثاني ١٣١٩ ﴾

الجامعة ونشاتها ونموها

﴿ في عامين ﴾

مصر بلادٌ خصها الله بمزايا لم يخص بها بلادًا سواها . فنباتها ينمو نموًا سريعًا تحت حرارة شمسها القوية . وحيوانها لا تراه صغيرًا حتى تراه كبيرًا لخصب الارض التي يولد عليها . وفتيانها وفتياتها يُدركون سن البلوغ في عمر يكون فيه الفتيان والفتيات في البلاد الاخرى اولادًا يلعبون في الازقة . وشركاتها وتجارها ولاسيما الاجانب المديرون المدرَّبون منهم كجورج افيروف ومن اشبهه بينما تراهم فيها فقراء لايملكون شروى نقير واذا بهم قد اصبحوا اغنياء وقد طفحت صناديقهم بالملايين . فلا تستغرب بعد هذا الخصب والاقبال العظيمين في كل فروع الحياة في مصر ما تسمعه عن حوادث النمو السريع فيها

واذا كانت « الجامعة » قد بلغتْ في هذين العامين تحت هذه السماء المصرية الصافية التي تحسدها السماء في كل مكان ما لم تكن تتوقعه فليس الفضل في ذلك راجعًا اليها ولكن الى الوسط الكريم الذي عاشت فيه وانصار العلم والادب الذين شدوا ازرها . ونخص منهم بالذكر وكلاء المجلة واصدقاءها ومساعديها الذين لم نشأ ذكر اسمائهم للمرة الاولى في المجلة غير مقرون بالتنويه بفضلهم عليها والاعتراف بجميل خدمتهم لها وهذا الذي دعانا الى كتابة هذا الفصل في صدر المجلة

ومن ذلك يعلم قراء الجامعة ان الوكلاء الذين يخدمونهم ليسوا بوكلاء اعتياديين ولكنهم من اصدقاء المجلة وانصار العلم والادب رأوا في خدمة هذه المجلة خدمة خصوصية لها وخدمة عمومية للجمهور فهبوا من كل جانب الى تنشيطها ونشر مبادئها عملاً باحتياج الحالة الحاضرة الى المبادىء التي تنشرها. فكان مثلنا واياهم مثل شركة ادبية عمومية غرضها نشر المعارف الضرورية بين الناس واعضاؤها منتشرون في اقطار الشرق والغرب ومركزها في الاسكندرية

ولا يخفى ان هذا الاهتمام العام الذي انصرف الى الجامعة ومبادئها يوجب عليها امورًا كثيرة لان المجلة لقرائها وواجباتها لهم تزيد بازدياد اقبالهم عليها. ولذلك ادخلنا في المجلة في هذا العام التحسين الذي عرفوه. ورأس هذا التحسين جعل مواد « الجامعة » لاهم الحركات العلمية والادبية والفلسفية والتاريخية والاجتماعية التي حدثت في العالم منذ انشائه. وكل حركة من تلك الحركات تكلفنا ما لا يتصوره القارىء من الدرس والبحث والمطالعة والتنقيب. فاننا صرفنا خمسة عشر يوماً في مطالعة ما كتبه العرب والافرنج عن تاريخ الاندلس حتى لخصنا منه المقالة التي نشرناها في الجزء الاول من السنة الثالثة ونظنه اول تاريخ للاندلس من اوله الى آخره. وفي هذا الجزء نشرنا ترجمة الفيلسوف رنان للسيد المسيح وقد صرفنا اسبوعين كاملين في مطالعتها واعدادها لانها مكتوبة في اكثر من ٥٠٠ صفحة بحجم كبير. وفيه ايضاً تاريخ بني امية وقد قرأنا ما يزيد على ٦٠٠ صفحة من كتب مختلفة عربية وافرنجية حتى جمعناه منها باختصار جامع للذة والفائدة

هذا سبيلنا في تحرير الجامعة قياماً بما يوجبه اقبال القراء عليها والماماً بجميع الشؤون العليا والمبادىء الكبرى لتكون الجامعة خزانة حقيقية جامعة لكل ما تجب معرفته على طلاب الحقيقة والمعرفة. ولو شئنا لاتممنا تحرير الجامعة في اسبوع واحد بان نجمع فيها بعض الفصول التافهة والمتفرقات والفكاهات والترجمات التي لا تكلف كاتبها تعباً وعناء. ولكنا نرى ان الذين يكون لهم شرف مخاطبة الجمهور ونقل المعارف الحقيقية اليه عليهم واجبات اسمى من ذلك بكثير. ونعتقد ان حضرات القراء بازاء ما يعلمونه من صرف الجامعة اوقاتها في خدمتهم الليل والنهار اعدادًا للمواضيع التي يقرأونها بما يعرفونه من اللذة والفائدة يفضلون ان تصلهم الجامعة متأخرة اسبوعاً وهي ممتلئة فوائد تصبو النفوس اليها على ان تاتيهم قبل اسبوع ولا شيء فيها مما يجب ان يكون فيها. فان مجلة كالجامعة يُصرف في تحريرها ما يُصرف من الوقت والقوى لا يكفي شهر لاعداد موادها فقط لولا الليل الذي يُعطي

النهار وان كان يأخذ من الاعمار كما يعطي المصباح النور الى البيت وهو ياخذ من الزيت..

اما المصادر التي نستقي منها مواد الجامعة فهي كثيرة اهمها مؤلفات علماء الافرنج والعرب والكتب الافرنجية التي تصدر حديثاً والمجلات فاننا نطالع منها مجلة المجلات ومجلة باريز ومجلة العلم التصويري ومجلة الصحة واحياناً المجلة الانسيكلوبيذية ومجلة المطالعات العامة. واما الجرائد فنقرأ منها الطان والديبا والفيغارو والماتين وكلها جرائد يومية لا يفوتنا عدد منها. وفوق ذلك مكتبتنا الخصوصية والانسيكلوبيذية (دائرة المعارف) التي لا تخفى فائدتها. وعلى ذكر الانسيكلوبيذية نذكر كلمة لصديق فاضل كان لنا استاذاً في زمن الصبا وما اعقل الاستاذ الذي يكون تلامذته اصدقاء له بعد المدرسة. فان هذا الصديق كتب الينا منذ ثماني سنوات يقول « لقد حسبني اهلي مصاباً بالجنون المطبق لانني ابتعت « انسيكلوبيذية » علمية بخمسين ليرة فرنسوية اما انا فافضل امتلاك هذه الكتب المفيدة على امتلاك احسن دار في بيروت » ولقد صدق صديقنا واستاذنا فان فوائد الانسيكلوبيذيات العلمية التي يمكن بها تعميم مبادىء العلم بين الناس ولا سيما في بلاد الشرق لا تخفى فوائدها على الذين يحتاجون اليها

واذا اضفنا الى كل هذه المصادر مطالعة عشر سنوات متتالية لاطايب الكتب التي نُشرت في العلم والادب والفلسفة. واعداد مواضيعها المهمة بالاشارة اليها بقلم من رصاص جرياً على عادتنا في المطالعة زيادة في الاستفادة. وملاحظة نظام الاجتماع وشؤون هذه الحياة التي هي تارة حلوة وتارة مرة سنوات طوالاً. اذا اضفنا هذا الى ذاك علم القراء المصدر الذي تستقي منه الجامعة الماء الصافي الزلال لقرائها

اما كون « الجامعة » قد اثار نجاحها حسد احدى رصيفاتها النصف شهرية لان ذلك النجاح قد كسف هلالها فهذا امر عرضي يزول متى علمت تلك الرصيفة ان كتمان الحسد يؤذي صاحبه فكيف باظهاره. والجامعة في كل حال تسامحها لانّ تنشيط سائر الجرائد والمجلات لها وثناؤهن على خطتها ومبادئها ثناء لا تستحق جزءاً منه لما يمحو سوء صنع واحدة حاسدة ويحملنا على اهمال ما ارادته بالجامعة من الوقيعة وسوء القصد اللذين يُضعفان في نظر العقلاء ما اكتسبته في جهادها بضع سنوات من سمعة الفضل والعلم. وكان بودنا ان تُبقي على هذه السمعة لانها اكتسبتها بحق واستحقاق ولانه يجب على المصادر الادبية والعلمية التي يرجع اليها الجمهور ان تكون مثالاً للفضل والنزاهة عن كل شائبة

ولكننا ما كتبنا هذا الفصل للوم والعتاب ولكن لشكر مساعدي الجامعة ولذلك نقفل

هذا الباب . ونقول قبل ختام الكلام ان الجامعة تقبل مساعدة كل نصير للعلم والادب ومحب لنشر مبادئها اذا رام الانضمام الى مساعديها واصدقائها الافاضل . وفي كل شهر تقريباً تردنا ولا سيما من جهات اميركا كتابات من افاضل لا نعرفهم يقترحون بها مساعدة الجامعة بنشرها بين القراء لان في ذلك خدمة عمومية . ومما يدل على نزاعة اولئك الوطنيين الكرام ورغبتهم المجردة في اشراك بني وطنهم في الفوائد التي يستفيدونها من الجامعة انهم يشفعون كتاباتهم باسماء اصدقائهم و بدلات اشتراكهم مقدماً وكل ذلك عفواً من غير طلب من الادارة . وقد كتب الينا احدهم من كولومبيا يقول منذ مدة « انني ابذل في سبيل مبادئ الجامعة كل مرتخص وغال و بناءً عليه فقد ارسلتُ اليكم ٢٥ اسماً من اسماء معارفي واصدقائي لترسلوا المجلة اليهم وطيه وضعت لكم حوالة بثلاثمائة فرنك قيمة بدل اشتراكهم التي اخذتُ على نفسي جمعها منهم » وغيره يكتب من البرازيل « ان من واجبات كل سوري وكل مصري وكل عربي ذي نسمة حياة ان يشترك في الجامعة و ينشر مبادئها ولذلك اشركت سبعة من اصدقائي وجمعت تحت مسئوليتي قيم الاشتراك منهم وقدمتها للادارة طي هذا الكتاب » وغيره يقول من المكسيك « ان روح الجامعة نسمة حياة تدخل الى النفوس فتنهض الساقط وتحيي الميت فاذا كانت تقبلني مساعداً ليكون لي فضل الاشتراك في خدمة قرائها اولتني جميلاً وانا كفيل لكل من يشترك فيها عن يدي » وغيره يكتب « لم تقهرني جريدة غير الجامعة . فانني استعير اكثر الجرائد والمجلات لاقرأها دون الاشتراك فيها و بذلك اقرأ كثيراً واستفيد دون ان ادفع شيئاً لاصحابها اما الجامعة فمذ قرأتُ جزءها الاول من السنة الثالثة علمتُ انني بالاستعارة اخسر لا اربح فعزمت على اقتنائها فانّ مجلداتها خير ارث اتركه لاولادي »

وكل هذه الشذرات نقلناها حرفياً من الرسائل التي تردنا على ان هنالك شذرات نخجل من نقلها لانها تقريظ اشد من التقريظ الذي نقدم . ولم نتساهل بنشر هذه الشذرات التي نشرناها مع ما نعرفه في انفسنا من العجز الا لاظهار فضل مساعدي المجلة وتبيان حالة افكار السوريين المهاجرين الى الاقطار الاميركية وميلهم الجديد لكل ما من شانه زيادة الارتقاء الادبي والاجتماعي . فالى هؤلاء الافاضل الذين ذكرناهم والذين لم نذكرهم لضيق المجال نسدي خالص الشكر ونهنئهم بما اكتسبوه في تلك البلاد من الميل للعلم والادب وحب الارتقاء والجد في سبيله دون يأس ولا كلل

ولو زمنا الكلام عن قراء مصر والشام والهند وايران وروسيا وغيرها من الاقطار

الاميركية وسواها كما تكلمنا عن قراء بعض الاقطار الاميركية لضاق المجال . ولذلك قلنا في مقدمة الكلام ان الاهتمام العامّ الذي انصرف الى الجامعة ومبادئها يقضي عليها بواجبات جديدة لقرائها . وهذه الواجبات لا تقصر الجامعة فيها كما رأى ذلك قراؤها من التحسين الذي ادخلناه فيها فلم يبقَ زيادة لمستزيد وان كنا ننوي تحسيناً جديداً كبيراً ننفذه في اول فرصة فتبلغ الجامعة حينئذ اكبر مبلغ نريده لها . ولا ريب ان مساعديها واصدقاءها وقراءها يسرُّهم ان يعلموا انهم قد انشئوا في الشرق صوتاً صارخاً في ربوعه يدعو الى الحقيقة والعلم والفضيلة والاخاء والمحبة واقاموا فيه بناءً ادبياً لا يتزعزع . وهذا من فضل مساعدتهم وما نحن الا رفقاء في العمل مثلهم . واذا كنا نحبُّ الحياة على هذه الارض التي ليس فيها شيءٌ يملأ نفس الانسان فانما ذلك لاتمام هذا العمل . ففي يد الله اذاً ان يمنَّ بتمام العافة ليطيل هذا الجهاد المستحب وفي يده ان يقصره

﴿ الواحد الاحد ﴾ ان اول ما ينبغي ان يبتدىء به المرء هو ان يعلم ان لهذا العالم واجزائه صانعاً بان يتامل الموجودات كلها هل يجد لكل واحد منها سبباً وعلة ام لا . فانه يجد عند الاستقراء لكل واحد منها سبباً عنه وجد . ثم ينظر الى تلك الاسباب القريبة من الموجودات هل لها اسباب ايضاً ام ليست لها اسباب . فانه يجد لها ايضاً اسباباً . ثم يتامل وينظر هل الاسباب ذاهبة الى ما لا نهاية له ام هي واقفة عند نهاية ام بعض الموجودات اسباب للبعض على سبيل الدور . فانه يجد القول بانها ذاهبة الى غير نهاية محالاً ومضطرباً لانه لا يحيط العلم بما لا نهاية له . ويجد القول بان بعضها سببٌ للبعض على التعاقب محالاً ايضاً لانه يلزم من ذلك ان يكون الشيء سبباً لنفسه كما انه لو كان الالف سبباً للباء والباء سبباً للجيم والجيم سبباً للدال لكان الالف سبباً لنفسه وهذا محال . فبقي ان تكون الاسباب متناهية . واقل ما يتناهى به الكثير هو الواحد فسبب الاسباب موجود وهو واحد . ولا يجوز ان يكون ذات السبب وذات المسبب واحداً فسبب اسباب العالم منفرد بذاته عما دونه

(لابي نصر الفارابي من رسالته في السياسة)